

كرينستوفر كولومبس

رواية

السلسلة التاريخية





ايسلندة

انكلترة

فرنسا

باريس
جنوبي

إسبانيا

بالوس

إيطاليا

بورقوسانتو
ماديرا

جزر الكناري

This book was donated by
the German Women Ass., Alexandria
to the Children's Library of the
Bibliotheca Alexandria

افريقيا

رحلة الانطلاق

رحلة العودة

الرحلة الأولى لكريستوفر كولومبس

الرحلة الأولى لكريستوفر كولومبس

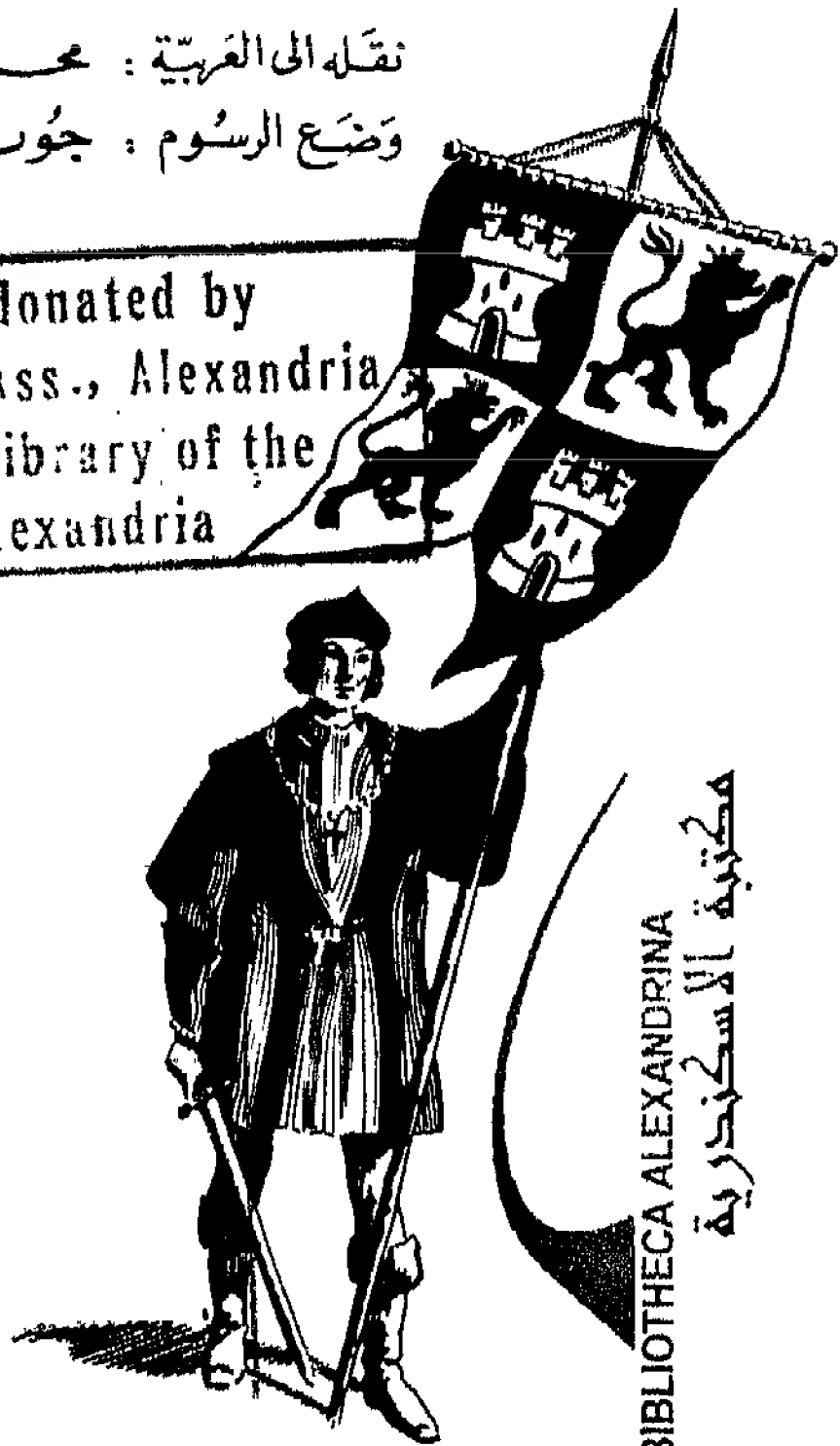


عِنْدَمَا أَقْلَعَتْ ثَلَاثُ سُفُنٍ مِنْ پَالُوسَ عَامَ ١٤٩٢ ، غَيَّرَتْ
مَجْرَى التَّارِيخِ . وَهَذِهِ قِصَّةُ كَرِيسْتُوفَرِ كُولْمْبُسَ ، الرَّجُلِ الَّذِي
قَادَ تِلْكَ السُّفُنَ ، وَقِصَّةُ أَكْثَرِ رِحْلَةٍ بَحْرِيَّةٍ ، ذَاتِ شَأْنٍ عَظِيمٍ ،
قَامَ بِهَا الْإِنْسَانُ .

كريستوفر كولومبس

بقلم : ل. دو غارد پيتش
نقله الى العربية : محمد العدناني
وضع الرسوم : جون كني

This book was donated by
the German Women Ass., Alexandria
to the Children's Library of the
Bibliotheca Alexandria



مكتبة الإسكندرية
BIBLIOTHECA ALEXANDRINA

مكتبة لبنات

كريستوفر كولبُسُ

عِنْدَمَا أَقْلَعَ كريستوفر كولبُسُ مِنْ مَرَفَأٍ بِالْوَسِّ الصَّغِيرِ فِي إِسْبَانِيَا ،
فِي الثَّالِثِ مِنْ شَهْرِ آبَ ، عَامَ ١٤٩٢ ، بَدَأَ بِرِحْلَةٍ بَحْرِيَّةٍ غَيْرَتِ مَجْرَى
التَّارِيخِ .

رُبَّمَا كَانَتْ هَذِهِ قِصَّةٌ وَاحِدَةٌ مِنْ أَشْهَرِ حَوَادِثِ التَّارِيخِ أَهَمِّيَّةٌ فِي
تَارِيخِ الْإِنْسَانِ الطَّوِيلِ كُلِّهِ .

وُلِدَ كريستوفر كولبُسُ فِي مَدِينَةِ جَنُوى الْإِيطَالِيَّةِ بَيْنَ عَامَيِ ١٤٤٠ -
١٤٥٠ ؛ لِأَنَّ تَارِيخَ مِيلَادِهِ غَيْرُ مَعْرُوفٍ بِدِقَّةٍ . وَجَنُوى مَدِينَةٌ ذَاتُ
مِينَاءٍ ، وَيُقْتَرَضُ أَنَّ كُولْبُسَ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ قَدْ قَضَى كَثِيرًا مِنْ وَقْتِهِ
فِي الْمِينَاءِ ، مُرَاقِبًا السُّفُنَ وَهِيَ تَأْتِي وَتَذْهَبُ ، وَمُتَحَدِّثًا مَعَ الْبَحَّارَةِ .

كَانَتْ سُفُنُ تِلْكَ الْأَيَّامِ سُفُنًا شِرَاعِيَّةً طَبْعًا ، وَأَصْغَرَ جِدًّا مِنْ سُفُنِ
الْيَوْمِ الْبُخَّارِيَّةِ ، صُبِغَتْ بِأَصْبَاحٍ زَاهِيَةٍ ، وَنُصِبَتْ عَلَيْهَا أَشْرَعَةٌ
مَلَوْنَةٌ ، وَلِكُلِّ مِنْهَا مُؤَخَّرٌ عَالٍ ، وَسُورٌ ذُو شُرَفَاتٍ أَحْيَانًا كَالْقِلَاعِ
الْبَرِّيَّةِ .

أَبْحَرَتْ بِكُولْبُسَ سَفِينَةٌ مِثْلُ هَذِهِ ، فِي رِحْلَتِهِ الْبَحْرِيَّةِ الْاِكْتِشَافِيَّةِ
الْكُبْرَى ، بَعْدَ أَرْبَعِينَ عَامًا مِنْ مَوْلَدِهِ .



لَا نَعْرِفُ إِلَّا شَيْئًا قَلِيلًا جِدًّا عَنْ طُفُولَةِ كُولْبُسَ . وَقَدْ جَاءَ فِي
كِتَابِ ، أَلْفِهِ أَبْنُهُ عَنْهُ ، أَنَّهُ كَانَ تَلْمِيزًا فِي جَامِعَةِ بَافِيَا ، بَيْنَمَا ذَكَرَ
كُولْبُسُ نَفْسَهُ أَنَّهُ كَانَ بَحَارًا فِي الرَّابِعَةِ عَشْرَةَ مِنْ عُمُرِهِ .

يُرَجِّحُ أَنَّهُ كَانَ بَحَارًا فِي تِلْكَ السِّنِّ ، لِأَنَّ الشُّبَانَ فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ
كَانُوا يَقُومُونَ بِأَعْمَالٍ كَثِيرَةٍ ، قَبْلَ أَنْ يَسْتَقِرُّوا فِي إِحْدَى الْحِرَفِ . أَمَّا
أَبُوهُ فَكَانَ حَائِكًا ، وَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ كَرِيسْتوفرُ قَدْ ظَلَّ قِطْرَةً مِنَ الزَّمَنِ
يُمَارِسُ مِهْنَةَ الْأُسْرَةِ .

وَلَا نَعْرِفُ الْأَسْبَابَ الَّتِي جَعَلَتْهُ يَتْرُكُهَا ، وَلَكِنَّ سِرَّ الْبَحْرِ الْعَجِيبَ
قَدْ أَثَّرَ فِي نَفْسِهِ تَأْثِيرًا شَدِيدًا ، جَعَلَهُ يَفْتِنُ بِهِ . وَكَانَ النَّاسُ فِي تِلْكَ
الْأَيَّامِ لَا يَعْرِفُونَ شَيْئًا عَنِ الْبَحَارِ ، يَتَجَاوَزُ بِضَعَةِ أَمْيَالٍ عَنْ
الشَّاطِئِ .

إِنَّ الرِّحَالَاتِ الَّتِي قَامَ بِهَا كُولْبُسُ بَلَغَ بِهَا شَاطِئَ أَفْرِيقِيَا الْغَرْبِيِّ ،
حَيْثُ كَادَ الْقَرَاصِنَةُ أَنْ يَأْسِرُوهُ ، وَوَصَلَ شَمَالًا إِلَى شَوَاطِئِ إِسْبَانِيَا
وَفَرَنْسَا . وَزَارَ إِنْكِلِتْرَا ، وَيُرَجِّحُ أَنَّهُ أَبْحَرَ شَمَالًا حَتَّى بَلَغَ إِيسْلَنْدَةَ .



في عام ١٤٧٩ تقريباً ذهب كولبُسُ ليعيشَ في جزيرة بورتو سانتو ،
التي تجدها على الخريطة قُربَ ماديرا ، والتي كانت البرتغال
تملكها .

وقد حدثت هنا أشياء كثيرة ، ساعدت كولبُسَ على أن يعقد اليقظة
على اكتشاف الأوقيانوس المجهول غرباً .

كان أول تلك الأشياء تزوجه ابنة رجل اسمه بارثولوميو برستريلو ،
وهو ربان بحري مشهور ، وبخار ذائع الصيت . وقد أخذ كولبُسُ
من حبه خرائط وآلات بحرية ، وتعلم منه كل ما كان معروفاً في ذلك
العصر عن الرياح ، والتيارات البحرية غرب ماديرا .

كان كولبُسُ يحصل على معاشه آنذاك برسم خرائط برية
وبحرية ونسخها . وبالطبع كانت هذه غير كاملة ؛ لأن الأمريكتين
الشمالية والجنوبية لم تكونا عليها .

لم يكن أحد يعلم ماذا يوجد بين جزيرة بورتو سانتو وبين اليابان .
وعندما نظر كولبُسُ إلى خرائطه البحرية ، ثم حذق في الأوقيانوس ،
كان راغباً جداً في اكتشاف ذلك .



عَرَفَ كَوْلْبِسُ أَنَّ الْأَرْضَ كُرَوِيَّةٌ ، أَوْ هُوَ - عَلَى الْأَقْلَ - أَعْتَقَدَ ذَلِكَ . وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مُوقِنًا بِهِ ؛ لِأَنَّهَا لَمْ يَدُرْ حَوْلَهَا أَيُّ إِنْسَانٍ ؛ وَلَكِنَّ كَوْلْبِسَ ظَنَّ أَنََّّهُ إِذَا أَبْحَرَ غَرْبًا وَصَلَ إِلَى الْيَابَانِ ، الَّتِي وَصَلَ إِلَيْهَا مُكْتَشِفُونَ آخَرُونَ بِالسَّفَرِ شَرْقًا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ .

لَمْ تَكُنْ لَدَى أَحَدٍ آيَةٌ فِكْرَةٍ عَنْ وُجُودِ قَارَةٍ كَبِيرَةٍ بَيْنَهُمَا . وَلَكِنَّ النَّاسَ عَرَفُوا أَنََّّهُ لَا بُدَّ مِنْ وُجُودِ أَرْضٍ فِي الْجِهَةِ الْغَرْبِيَّةِ ، تَدُلُّ عَلَيْهَا الْأَشْيَاءُ الْغَرْبِيَّةُ ، الَّتِي كَانَتْ تُلْقَى عَلَى شَوَاطِئِ مَادِيرَا وَبُورْتُوسَانْتُو عِنْدَ هُبُوبِ الرِّيحِ الْغَرْبِيَّةِ .

كَانَ كَوْلْبِسُ يَقْضِي كَثِيرًا مِنْ وَقْتِهِ فِي التَّحَدُّثِ إِلَى الْبَحَّارَةِ فِي الْمَرْقَا ، حَيْثُ أَرَوْهُ قِطْعًا غَرْبِيَّةً مِنَ الْخَشَبِ الْمَحْفُورِ وَالْقَصَبَاتِ الضَّخْمَةِ ، الَّتِي يَتَّسِعُ كُلُّ مَقْطَعٍ مِنْهَا لِغَالُونٍ (نَحْوُ ١/٢ ٤ لِيْتَرَاتِ) مِنْ الْمَاءِ .

لَمْ يَرَ أَحَدٌ مِثْلَ تِلْكَ الْأَشْيَاءِ مِنْ قَبْلُ ، لِذَا يَجِبُ أَنْ تَكُونَ قَدْ أَتَتْ مِنْ أَرْضٍ مَجْهُولَةٍ عَبْرَ الْبَحْرِ .



قَرَّرَ كُولْبِسُ الْإِبْحَارَ غَرَبًا بَحْثًا عَنْهَا . وَلَكِنَّهُ كَانَ رَجُلًا فَقِيرًا ،
وَيَحْتَاجُ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ إِلَى شَخْصٍ يُزَوِّدُهُ بِسَفِينَةٍ .

فَطَلَّبَ مِنْ مَلِكِ الْبُرْتُغَالِ تَزْوِيدَهُ بِهَا . فَأَصْغَى الْمَلِكُ بِعِنَايَةٍ إِلَى مَا
كَانَ كُولْبِسُ يُرِيدُ قَوْلَهُ ، وَلَكِنَّهُ رَفَضَ مُسَاعَدَتَهُ . وَلَكِنَّهُ ، دُونَ
أَنْ يُخْبِرَ كُولْبِسَ ، أَرْسَلَ سَفِينَةً مَمْلُوءَةً بِبَحَارَتِهِ ، لِكَيْ يَحْدُوا الْأَرْضَ
الْغَنِيَّةَ ، الَّتِي تَحَدَّثُ عَنْهَا كُولْبِسُ ، وَيُطَالِبُوا بِهَا .

كَانَ هَذَا الْعَمَلُ الَّذِي قَامَ بِهِ مَلِكُ الْبُرْتُغَالِ عَمَلًا دَنِيئًا جِدًّا ، وَلَكِنَّهُ
لَمْ يَأْتِهِ بِفَائِدَةٍ ، لِأَنَّ بَحَارَتَهُ ، بَعْدَ أَنْ قَضَوْا بِضْعَةَ أَيَّامٍ فِي الْبَحْرِ ، جَبُّوا
وَعَادُوا .

فَعِنْدَمَا سَمِعَ كُولْبِسُ أَنَّ الْمَلِكَ قَدْ خَدَعَهُ ، تَرَكَ الْبُرْتُغَالَ وَذَهَبَ إِلَى
إِسبَانِيَا .

لَيْسَ مِنَ السَّهْلِ عَلَى رَجُلٍ فَقِيرٍ الْفَوْزُ بِمُقَابَلَةِ مَلِكِ إِسبَانِيَا
وَمِلْكِيَّتِهَا . اِنْتَظَرَ كُولْبِسُ عَامَيْنِ ، ثُمَّ سُمِحَ لَهُ بِالْدُخُولِ إِلَى
الْبَلَاطِ ، فَدَخَلَ وَأَمْلَهُ كَبِيرٌ فِي أَنْ بَحْثَهُ عَنْ سَفِينَةٍ قَدْ أَثْمَرَ .



كَانَ مُخْطِئًا ، لِأَنَّ مَلِكَ إِسْبَانِيَا كَانَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ يُحَارِبُ
الْمَغَارِبَةَ ، الَّذِينَ كَانُوا قَدْ اخْتَلَوْا بِلَادَهُ . وَمَعَ أَنَّهُ رَحَّبَ تَرْحِيًّا حَسَنًا
بِكَوْلِبُسَ ، حِينَ زَارَهُ ، إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَفْعَلْ سِوَى تَأْلِيفِ لَجْنَةٍ ، لِكَيْ تُشِيرَ
عَلَيْهِ بِمُسَاعَدَةِ كَوْلِبُسَ أَوْ عَدَمِ مُسَاعَدَتِهِ .

كَانَتْ تِلْكَ اللَّجْنَةُ مُؤَلَّفَةً مِنْ نُبَلَاءِ إِسْبَانِيِّينَ وَكُهَّانٍ . وَقَدْ ظَلَّ كَوْلِبُسُ
يُنَاقِشُهُمْ أَيَّامًا وَأَسَابِيعَ ، وَيَتَنَقَّلُ مِنْ بَلَدٍ فِي إِسْبَانِيَا إِلَى بَلَدٍ آخَرَ ، عِنْدَمَا
تَتَقَلُّ اللَّجْنَةُ إِلَيْهِ .

لَمْ تَكُنِ اللَّجْنَةُ فِي عَجَلَةٍ مِنْ أَمْرِهَا . وَبَعْضُ أَعْضَائِهَا أَبَوْا أَنْ يُصَدِّقُوا
أَنَّ الْأَرْضَ يُمَكِّنُ أَنْ تَكُونَ كُرْوِيَّةً . وَقَالَ الْأَعْضَاءُ الْآخَرُونَ : « إِذَا
كَانَتْ الْأَرْضُ كُرْوِيَّةً ، فَإِنَّ كَوْلِبُسَ سَيَجِرُ نَزُولًا ، وَمَا دَامَ مِنْ
الْمُسْتَحِيلِ عَلَى السَّفِينَةِ أَنْ تُبْحَرَ صُعُودًا ، فَإِنَّهُ لَنْ يَرْجِعَ أَبَدًا . »

وَلَمْ تُعْطِ اللَّجْنَةُ قَرَارَهَا إِلَّا بَعْدَ مُرُورِ أَرْبَعِ سَنَوَاتٍ طَوِيلَةٍ . وَقَدْ جَاءَ
فِي ذَلِكَ الْقَرَارِ الْمُرْسَلِ إِلَى الْمَلِكِ ، أَنَّ الرِّحْلَةَ الَّتِي اقْتَرَحَهَا كَوْلِبُسُ كَانَتْ
عَبَثًا وَغَيْرَ عَمَلِيَّةٍ .



لَمْ يُضِغْ كُولْبُسُ وَقْتَهُ عَبَثًا خِلَالَ تِلْكَ السَّنَوَاتِ الْأَرْبَعِ . وَلَا بُدَّ مِنْ
أَنْ يَكُونَ قَدْ رَأَى كَيْفَ تَسِيرُ الْأُمُورُ ، فَقَرَّرَ أَنْ يَبْحَثَ عَنْ وَسِيلَةٍ ، يَفُوزُ
بِهَا بِسَفِينَةٍ مِنْ مَكَانٍ آخَرَ .

كَانَ مَلِكُ الْبَرْتُغَالِ قَدْ رَفَضَ مُسَاعَدَتَهُ ، وَكَانَتْ لَجَنَّةُ مَلِكِ إِسبَانِيَا
تَضَعُ فِي طَرِيقِهِ جَمِيعَ الْعَرَاقِيلِ . وَلَمْ تَكُنْ إِسبَانِيَا وَالْبَرْتُغَالُ هُمَا الْبَلَدَيْنِ
الْوَحِيدَيْنِ ، اللَّذَيْنِ لَهُمَا سُفُنٌ وَبَحَارَةٌ أَقْوِيَاءُ .

كَانَ لِكُولْبُسَ أَخٌ اسْمُهُ بَارْتُولُومِيو ، الَّذِي اتَّفَقَ مَعَ أَخِيهِ عَلَى أَنْ
يَذْهَبَ هُوَ إِلَى إِنْكِلِتْرَا طَالِبًا مُسَاعَدَتَهَا ، يَتِمَّا يَبْقَى كَرِيسْتُوفَرُ فِي إِسبَانِيَا
لِمُنَاقَشَةِ اللَّجَنَةِ .

كَانَ قَدْ مَضَى عَلَى ارْتِقَاءِ هِنْرِي السَّابِعِ ، أَوَّلِ مُلُوكِ إِنْكِلِتْرَا
التِّيودُورِيِّينَ ، ثَلَاثَةُ أَغْوَامٍ . كَانَ رَجُلًا حَذِرًا ، وَحَرِيصًا عَلَى
الْمَالِ ، وَمَعَ أَنَّهُ اسْتَقْبَلَ بَارْتُولُومِيو ، وَأَصْنَفَى إِلَيْهِ مُدَّةً طَوِيلَةً ، فَقَدْ
رَفَضَ الْبَحْثَ عَنْ سُفُنٍ لِلرَّحَلَةِ ، الَّتِي رَأَى أَنَّهَا رِحْلَةٌ لَا تُبَشِّرُ
بِالنَّجَاحِ .

وَلَوْ كَانَ هِنْرِي السَّابِعُ أَقْلًا حَذِرًا ، لَكَانَتْ أَمِيرِكََا الْجَنُوبِيَّةُ قَدْ
أَصْبَحَتْ مُسْتَعْمَرَةً إِنْكِلِيزِيَّةً .



أَخْبَرَ بَارثُولوميو أَخَاهُ كُولْبِسَ بِحَيِّثَ مَسْعَاهُ ، ثُمَّ عَبَرَ الْبَحْرَ
إِلَى فَرَنْسَا ، لِيَطْلُبَ الْمُسَاعَدَةَ مِنْ شَارْلَ السَّابِعِ . وَهُنَاكَ رُفِضَ
طَلَبُهُ أَيْضًا .

أَمَّا فِي إِسبَانِيَا فَقَدْ كَانَ كُولْبِسُ نَفْسُهُ يَائِسًا ، لِأَنَّ اللَّجْنَةَ الثَّانِيَةَ الَّتِي
عَيَّنَهَا الْمَلِكُ أَتَيْتْ قَرَارَ الرَّفْضِ الَّذِي أَصْدَرَتْهُ اللَّجْنَةُ الْأُولَى . حَدَثَ ذَلِكَ
فِي عَامِ ١٤٩١ .

وَلَمَّا أَعْتَقَدَ كُولْبِسُ أَنَّ لَا أَمَلَ لَهُ فِي الْحُصُولِ عَلَى الْمُسَاعَدَةِ مِنْ
إِسبَانِيَا ، سَافَرَ إِلَى فَرَنْسَا لِيَنْضَمَّ إِلَى أَخِيهِ . وَفِي الطَّرِيقِ اسْتَرَاخَ فِي
دَيْرٍ قُرْبَ بَالُوسَ ، حَيْثُ كَانَ اسْتَقْبَلَ بِتَرْحَابٍ مُنْذُ بَضْعِ سَنَوَاتٍ .
وَقَدْ ظَهَرَ أَنَّ مُكُونَهُ فِي دَيْرٍ لَا رَايِدَا كَانَ نُقْطَةَ التَّحَوُّلِ فِي حَظِّهِ .

كَانَ فِي ذَلِكَ الدَّيْرِ رَاهِبٌ اسْمُهُ جَوَانُ بِيرِيُ ، وَكَانَ قِسِيًّا
خَاصًّا لِلْمَلِكَةِ إِسبَانِيَا . لَقَدْ آمَنَ بِأَقْوَالِ كُولْبِسَ ، وَقَبِلَ أَنْ يَكْتُبَ رِسَالَةً
إِلَى الْمَلِكَةِ ، وَيَطْلُبَ مُسَاعَدَتَهَا .

فَتَجَعَ عَنْ ذَلِكَ مَا لَمْ يَكُنْ فِي حُسْبَانِ كُولْبِسَ ؛ إِذْ أُرْسِلَتْ الْمَلِكَةُ
لَهُ مَبْلَغًا مِنَ الْمَالِ ، لِكَيْ يَشْتَرِيَ بِهِ ثِيَابًا فَاخِرَةً وَجَوَادًا ، وَيَأْتِيَ قُورًا
لِرُؤُوسِهَا .

أَصْبَحَ الْأَمْرُ الْآنَ لَا يَحْتَاجُ إِلَى اللَّجَانِ .



اسْتَقْبَلَتِ الْمَلِكَةُ إِيزَابِيلُ كَوْلْبُسَ وَخَدَّهَا ، وَأُظْهِرَتْ اهْتِمَامًا شَدِيدًا
بِحُطْطِهِ . ثُمَّ اسْتَقْبِلَ فِي الْبَلَاطِ الْمَلِكِيَّ ، وَظَهَرَ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ يَسِيرُ
لِمَصْلَحَتِهِ .

وَعِدَ كَوْلْبُسُ بِسُقْنٍ لِلْقِيَامِ بِمُغَامَرَتِهِ . ثُمَّ فَجَّرَ اسْتِیَاءَهُ مِنْ
الْإِنْتِظَارِ الَّذِي دَامَ سَبْعَ سَنَوَاتٍ ، بِأَنَّهُ طَلَبَ مُكَافَأَتٍ مِنَ الْمَلِكِ وَالْمَلِكَةِ ،
الَّذَيْنِ أَعْتَبَرَاهَا غَيْرَ مَعْقُولَةٍ أَبَدًا . وَمِنْ بَيْنِهَا وَجُوبُ تَرْقِيَّتِهِ فَوْرًا إِلَى رُتْبَةِ
أَمِيرِ الْبَحْرِ (أَمِيرَال) ، وَإِعْطَاؤُهُ عَشْرَ الثَّرَوَةِ الَّتِي سَتُجْنَى مِنَ الْأَرْضِ
الَّتِي سَيَكْتَشِفُهَا .

رَفِضَتْ شُرُوطُهُ ، فَانْطَلَقَ فِي الْحَالِ ، مَرَّةً ثَانِيَةً لِلانْضِمَامِ إِلَى أَخِيهِ
فِي فَرَنْسَا . وَمَا كَادَ يَسِيرُ سِتَّةَ أَمْيَالٍ ، حَتَّى أَدْرَكَهُ رَسُولُ الْمَلِكِ . لَقَدْ
قَبِلَتْ شُرُوطُهُ .

فَأَدَارَ كَوْلْبُسُ رَأْسَ جَوَادِهِ ثَانِيَةً شَطْرَ الْبَلَاطِ الْمَلِكِيِّ . وَأَصْبَحَ كُلُّ
شَيْءٍ الْآنَ مُهَيَّأً لِلرَّحَلَةِ الْبَحْرِيَّةِ ، الَّتِي فَاقَتْ بِنَتَائِجِهَا الْبَاهِرَةِ كُلَّ مَا أَنْجَزَهُ
أَيُّ إِنْسَانٍ .



أَيَقْنَ كُولِبْسُ الْآنَ أَنَّهُ سَيَحْصُلُ عَلَى السُّفْنِ الَّتِي طَلَبَهَا ، وَلَكِنْ
دُونَ أَنْ يُكَلِّفَ ذَلِكَ مَلِكَ إِسبَانِيَا وَمِلِكَتَهَا شَيْئًا .

كَانَ سُكَّانُ مَرْفَأِ بِالُوسَ يَرْزَحُونَ تَحْتَ الْغَضَبِ الْمَلِكِيِّ ، لِعَدَمِ
دَفْعِهِمُ الضَّرَائِبَ ، فَقَرَضَتْ عَلَيْهِمُ الْغَرَامَاتُ الْمَالِيَّةُ الْبَاهِظَةُ . وَكَانَتْ
الْعَادَةُ فِي إِسبَانِيَا ، فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ ، أَنْ تُفَرَضَ الْعُقُوبَةُ ، فِي مِثْلِ تِلْكَ
الظُّرُوفِ ، عَلَى الْبَلَدَةِ كُلِّهَا ، لَا عَلَى الْأَفْرَادِ . لِذَا فُرِضَ عَلَى بِالُوسَ
أَنْ تُزَوِّدَ كُولِبْسَ بِثَلَاثِ سُفْنٍ ، وَأَنْ تُعِدَّهَا بِالرِّجَالِ عَلَى نَفَقَتِهَا أَيْضًا .

كَانَتْ بِالُوسُ بَعِيدَةً جِدًّا عَنِ الْبَلَاطِ الْمَلِكِيِّ ، وَالْبَلَدَةُ الَّتِي
رَفَضَتْ أَنْ تَدْفَعَ الضَّرَائِبَ ، قَادِرَةٌ أَيْضًا عَلَى رَفْضِ الْأَمْرِ الصَّادِرِ لَهَا
بِأَنْ تَجِدَ السُّفْنَ . كَانَ أَحْتِجَاجُ كُولِبْسَ وَغَضَبُهُ عَلَيْهِمْ دُونَ فَائِدَةٍ .
وَعِنْدَمَا أُبْرِزَ لَهُمُ الرَّقَّ (جِلْدُ رَقِيقٍ يُكْتَبُ فِيهِ) ، الَّذِي كُتِبَتْ عَلَيْهِ أَوَامِرُ
الْمَلِكِ هَزَأُوا بِهِ .

وَمَعَ أَنَّ السُّفْنَ الَّتِي فِي الْمَرْفَأِ كَانَتْ كَثِيرَةً ، فَقَدْ زَعَمُوا أَنَّهَا لَيْسَ
بَيْنَهَا سَفِينَةٌ وَاحِدَةٌ صَالِحَةٌ لِمِثْلِ تِلْكَ الرِّحْلَةِ الْمَجْنُونَةِ إِلَى
الْمَجْهُولِ .

بِالرُّغْمِ مِنْ جَمِيعِ الصُّعُوبَاتِ الَّتِي تَغْلِبُ كُولِبْسَ عَلَيْهَا ، وَالسَّنَوَاتِ
الطَّوِيلَةِ الَّتِي أُنْتَظَرُ فِيهَا ، ظَهَرَ لَهُ أَنَّ تَحْقِيقَ رَغْبَتِهِ لَا يَزَالُ بَعِيدًا جِدًّا .



ثُمَّ حَالَفَ الْحَظُّ كَوْلُبْسَ ، بَعْدَمَا أَصْبَحَتْ آمَالُهُ تَلْفِظُ أَنْفَاسَهَا
الْأَخِيرَةَ .

كَانَ قَدْ تَعَرَّفَ فِي بِالْوَسِّ إِلَى رُبَّانَيْنِ شَقِيقَيْنِ ، كَانَتْ أَهْمِيَّتُهُمَا
الْكُبْرَى فِي أَنَّهُمَا يَمْلِكَانِ سُفُنًا ، وَأَسْمَاهُمَا مَارْتِنُ الْوَنَزُو وَبِئْرُونُ وَفِيَسْتِ
بِائِرِ بِنَزُونُ .

وَأَخِيرًا حَصَلَ عَلَى ثَلَاثِ سُفُنٍ صَغِيرَةٍ بِمُسَاعَدَتِهِمَا . وَكَانَتْ
أَسْمَاؤُهَا : « سَانْتَا مَارِيَا » وَهِيَ أَكْبَرُ الثَّلَاثِ ، وَ « بِنْتَا » ، وَ « نِينَا » .
لَقَدْ قُدِّرَ لِهَذِهِ السُّفُنِ الثَّلَاثِ أَنْ تُصْبِحَ أَكْثَرُ السُّفُنِ شُهْرَةً فِي تَارِيخِ
الْبَحْرِ .

كَانَتْ سُفُنًا صَغِيرَةً جِدًّا . وَلَمْ يَكُنْ ظَهْرُ السَّفِينَةِ « سَانْتَا مَارِيَا »
يَزِيدُ طُولَهُ عَنْ سَبْعِينَ قَدَمًا . وَلَمْ يَكُنْ حَجْمُ « بِنْتَا » إِلَّا مِقْدَارَ نِصْفِ
حَجْمِ « سَانْتَا مَارِيَا » ، أَمَّا « نِينَا » فَكَانَتْ أَصْغَرَ الثَّلَاثِ ، وَلَيْسَ فِيهَا
سِوَى ١٨ بَحَّارًا .

كَانَ عَلَى كَوْلْمُبْسَ أَنْ يُبْحَرَ ، بِتِلْكَ السُّفُنِ الصَّغِيرَةِ جِدًّا ، فِي
بِحَارٍ شَدِيدَةِ الْعَوَاصِفِ ، وَمُجْهُولَةٍ لَمْ يَجْتَزْهَا أَحَدٌ مِنْ قَبْلُ ، وَلَمْ يَتَوَقَّعِ
الْعُودَةَ مِنْهَا بِسَلَامٍ إِلَّا الْقَلِيلُونَ . وَلَيْسَ مِمَّا يُشِيرُ الدَّهْشَةَ أَنَّهُ - بَعْدَ أَنْ
حَصَلَ عَلَى السُّفُنِ - وَجَدَ صُعُوبَةً فِي إِقْنَاعِ الرِّجَالِ بِالِابْتِحَارِ فِيهَا .



لَوْ لَا مُسَاعَدَةُ الْأَخَوَيْنِ بِتَزْوَنَ لَكَانَ الْقِيَامُ بِالرَّحْلَةِ مُسْتَحِيلًا جِدًّا .
لَقَدْ شَجَعَا بِخَارَةَ بِالْوَسِّ الْمُتَرَدِّدِينَ بِالْقَوْلِ وَالْفِعْلِ مَعًا . وَقَدْ عَرَضَ كِلَاهُمَا
نَفْسَهُ عَلَى كَوْلِبُسَ لِلإِبْحَارِ غَرْبًا نَحْوَ الْمَجْهُولِ .

كَانَ كَوْلِبُسُ مُسْتَعِدًّا لِتَجْنِيدِ بَخَارَتِهِ مِنْ بَيْنِ الْمُجْرِمِينَ الْمَوْجُودِينَ فِي
سُجُونِ إِسْبَانِيَا ، وَقَدْ فَازَ بِوَعْدٍ مِنَ الْمَلِكِ بِإِعْطَاءِ كُلِّ سَجِينِ الْحُرِّيَّةَ الْمُطْلَقَةَ
إِذَا أَبْحَرَ مَعَهُ . وَلِحُسْنِ حَظِّهِ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ ضَرُورِيًّا .

لَمْ يَكُنْ تَجْمِيعُ الْبَخَارَةِ سَهْلًا . وَكَانَ الْعَدَدُ الْمَطْلُوبُ لِلْسُفْنِ الثَّلَاثِ
تِسْعِينَ بَخَارًا . كَانَ النَّاسُ فِي ذَلِكَ الْعَصْرِ مُتَدَيِّينَ جِدًّا ، لَيْسَ فِي إِسْبَانِيَا
وَحْدَهَا ، بَلْ فِي جَمِيعِ أَنْحَاءِ الْعَالَمِ ، وَقَدْ ظَنَّ كَثِيرٌ مِنْهُمْ أَنَّ الْمَغَامِرَةَ
لِلدُّخُولِ الْمَجْهُولِ عَمَلٌ شَرِيرٌ . وَبَعْضُهُمْ خَافُوا الْأَخْطَارَ الَّتِي اخْتَرَعَهَا
خَيَالُهُمْ ، كَالْوُحُوشِ الْبَحْرِيَّةِ الْهَائِلَةِ الْحَجْمِ ، وَدَوَامَاتِ الْمَحِيطِ
الْغَامِضَةِ .

وَلَكِنَّهُمْ ، فِي النَّهَايَةِ ، لَمْ يَتَغَلَّبْ عَلَى مَخَافَتِهِمْ سِوَى الْأَمَلِ فِي
الْحُصُولِ عَلَى الْجَوَائِزِ الْكَبِيرَةِ السَّخِيَّةِ ، وَسِوَى الْمَثَلِ الرَّائِعِ ،
الَّذِي ضَرَبَهُ لَهُمُ الرُّبَّانَانِ اللَّذَانِ كَانَا أَكْثَرَ رَبَابِنَةِ الْبَعْرِ أَحْتِرَامًا فِي
الْبَلَدَةِ .



أَصْبَحَ كُلُّ شَيْءٍ جَاهِزًا بَعْدَ فِتْرَةٍ قَصِيرَةٍ مِنَ الزَّمَنِ ، وَحَمَلَتِ السُّفُنُ
الثَّلَاثُ مِنَ الطَّعَامِ وَالْمَوُونَةِ مَا يَكْفِيهَا عَامًا .

كَانَتْ حِصَّةُ الْبَحَّارِ الْغِدَائِيَّةِ الْيَوْمِيَّةُ نَحْوَ نِصْفِ كِيلُوغَرَامٍ مِنَ
الْبَسْكُوتِ ، وَثَلَاثِمِئَةِ غَرَامٍ مِنَ اللَّحْمِ . وَيُرْوَى أَنَّ السُّفْنَ كَانَتْ تَخْتَرِنُ
أَيْضًا كَمِّيَّاتٍ كَبِيرَةً مِنَ الْبَصَلِ ، وَالْجُبْنِ ، وَالزَّيْتِ ، وَالْخَلِّ ، وَهِيَ مَوَادُّ
لَا غِنَى عَنْهَا فِي الْبَحْرِ .

وَعِنْدَمَا نُضِيفُ إِلَى ذَلِكَ مَا كَانَتْ تَحْمِلُهُ السُّفُنُ مِنَ الْأَشْرَعَةِ ،
وَالْحِبَالِ ، وَالْقَذَائِفِ الْحَجَرِيَّةِ لِلْمَدَافِعِ ، الَّتِي كَانَتْ السُّفُنُ تَسْلُحُ بِهَا
آنَ ذَاكَ ، يَبْدُو لَنَا أَنَّ تِلْكَ السُّفْنَ الصَّغِيرَةَ كَانَتْ مُحَمَّلَةً بِأَقْصَى مَا لَدَيْهَا
مِنْ طَاقَةٍ .

لَمْ يَتَّقَ عَلَيْهِمْ سِوَى شَيْءٍ وَاحِدٍ ، يَجِبُ أَنْ يَقُومُوا بِهِ قَبْلَ الْإِبْحَارِ ،
هُوَ أَنَّهُمْ يَجِبُ أَنْ يُصَلُّوا لِلَّهِ جَمِيعًا ، بِحَارَةً ، وَرِجَالًا بِالْوَسْ وَنِسَاءً هَا .
لِذَا سَارُوا جَمِيعًا فِي مَوْكِبٍ إِلَى دِيرٍ لَا رَابِدَا ، لِيَسْأَلُوا اللَّهَ أَنْ يُبَارِكَهُمْ فِي
مَشْرُوعِهِمْ .

كَانَ ذَلِكَ الدَّيْرُ هُوَ الْمَكَانَ الَّذِي تَسَلَّمَ فِيهِ كُولْبُسُ رِسَالَةَ الْمَلِكَةِ ،
وَكَانَ الرَّاهِبُ الصَّالِحُ جَوَانُ يُوِيْزُ ، الَّذِي كَتَبَ لِلْمَلِكَةِ بِشَأْنِ الرِّحْلَةِ ،
هُوَ الَّذِي بَارَكَ كُولْبُسَ وَرِجَالَهُ .



أصدر كولبس الأمر برفع الأشرعة ، يوم الجمعة ، في الثالث من شهر آب ، من عام ١٤٩٢ ، قبل نصف ساعة من شروق الشمس .

وعندما ظهر النور كانت الأشرعة قد امتلأت ، ثم ابتعدت السفن الثلاث الصغيرة عن رصيف الميناء . لقد بدأت رحلة بحرية من أكثر الرحلات في التاريخ أهمية .

كان البحارة على ظهر السفن مشغولين جداً في تثبيت الأشرعة ، ولف الحبال ، وتوديع الحشود الكبيرة التي تجمعت لتوديعهم . وكانت الزوجات والأمهات يئكين ويصلين ، أما الرجال فإثهم كانوا يخشون أن يكون وداعهم للبحارة آخر عهدهم بهم ، وأن تكون تلك النظرة هي آخر نظرة يلقونها عليهم . فهذه الرحلة البحرية لم تكن عادية كمثل الرحلات التي تُبحر فيها السفن من مرفأ إلى آخر مُحاذية للشاطئ . لقد نظر جميع المودعين إلى بحارة « سانتا ماريا » و « بنتا » و « نينا » في ذلك الوقت ، كما كنا ننظر إلى رجال القضاة الأول حين انطلقوا إلى القمر ، في رحلتهم الأولى . ورحلة البحارة كانت أشد خطراً ، لأننا نعلم أن القمر الذي تنطلق إليه المركبة الفضائية موجود .

لم يكن أحدٌ موقناً بنجاح الرحلة ، وسعيداً بانطلاق السفن ، وأقبحها البحار المجهولة ، سوى كريستوفر كولبس ، الذي أصبح السيد المطلق الآن ، دون أن يستطيع أحد إيقافه .



رُبَّمَا ظَنَّ كَوْلْبُسُ ، عِنْدَمَا أَبْحَرَ مِنَ الْبَلُوسِ ، أَنَّ مَصَاعِبَهُ قَدْ
انْتَهَتْ . وَلَمْ تَكُنْ تِلْكَ هِيَ الْمَرَّةُ الْأُولَى الَّتِي يُخْطِئُ فِيهَا ظَنُّهُ .

سَارَتْ الْأُمُورُ فِي الْأَيَّامِ الثَّلَاثَةِ الْأُولَى عَلَى مَا يُرَامُ . كَانُوا مُتَّجِهِينَ
شَطْرَ جُزُرِ الْكِنَارِي ، وَهِيَ أَبْعَدُ جُزُرٍ مَعْرُوفَةٍ غَرْبًا ، حَيْثُ قَرَّرَ كَوْلْبُسُ
الانْطِلَاقَ إِلَى الْمَجْهُولِ مِنْهَا . وَقَدْ كَانَتْ « بِنْتَا » أَسْرَعَ الْسُّفُنِ الثَّلَاثِ ،
فَسَبَقَتْهَا مَسَافَةً كَبِيرَةً ، وَأَشْرَعَتْهَا الْبَيْضَاءُ تَظْهَرُ وَتَخْتَفِي فِي الْأَفْقِ الْأَزْرَقِ
الرَّمَادِيِّ .

ثُمَّ وَقَفَ كَوْلْبُسُ فَجْأَةً ، بَيْنَمَا كَانَ يَمْشِي عَلَى ظَهْرِ السَّفِينَةِ « سَانْتَا
مَارِيَا » . لَقَدْ أُصِيبَتْ السَّفِينَةُ « بِنْتَا » بِضَرْبٍ ، فَأَنْزَلَتْ أَشْرَعَهَا ، وَسَقَطَتْ
فِي أَوْدِيَةِ الْأَمْوَاجِ دُونَ أَنْ تَجِدَ لَهَا مَخْرَجًا مِنْهَا . فَاَنْدَفَعَتْ « سَانْتَا مَارِيَا »
نَحْوَهَا ، فَبَلَغَتْهَا بِسُرْعَةٍ ، وَعَرَفَ كَوْلْبُسُ أَنَّ جُزْءًا مِنَ الدَّفْعَةِ قَدْ فُصِّلَ عَنْهَا ،
وَأَنَّهُمْ يَخْتَاجُونَ إِلَى مُدَّةٍ مَا لِإِضْلَاحِهَا .

قَلِقَ كَوْلْبُسُ قَلَقًا عَظِيمًا ، لَمْ تَكُنْ الْكَارِثَةُ الَّتِي حَلَّتْ بِدَفْعَةِ « بِنْتَا »
سَبَبُهُ ، بَلْ خَوْفُهُ مِنْ أَنَّ يَكُونَ الْبَحَارَةُ قَدْ تَعَمَّدُوا تَعْطِيلَ السَّفِينَةِ ؛ لِأَنَّ
شَجَاعَتَهُمْ خَانَتْهُمْ ، فَأَمَلُوا أَنَّ تَقْضِي الْضَّرُورَةُ بِرُجُوعِ « بِنْتَا » إِلَى الْبَلُوسِ
لِإِضْلَاحِ دَفْعَتِهَا .



إذا كانت المحاولة مُتَعَمِّدَةً ، فإنها لم تَنْجَحْ . إنَّ كولبُسَ قد تَغَلَّبَ عَلَى صُعُوبَاتٍ كَثِيرَةٍ جِدًّا ، وَلَيْسَ مِنَ الْمَعْقُولِ أَنْ تُحَوَّلَهُ عَنْ هَدَفِهِ دَفْعَةً مَكْسُورَةً . ثُمَّ وَاصَلُوا الرِّحْلَةَ إِلَى مَادِيرَا وَجُزُرِ الْكِنَارِي ، حَيْثُ قَضَوْا شَهْرًا كَامِلًا فِي إِصْلَاحِ « بِنْتَا » ، وَتَغْيِيرِ طَرِيقَةِ وَضْعِ أَشْرَعَةِ السَّفِينَةِ « نِينَا » . وَظَلُّوا هُنَاكَ حَتَّى الْيَوْمِ السَّادِسِ مِنْ أَيْلُولَ ، عِنْدَمَا أَرْتَفَعَ شِرَاعُ « سَانْتَا مارِيَا » الْأَكْبَرُ ، وَأَنْطَلَقُوا فِي رِحْلَتِهِمْ نَحْوَ الْغَرْبِ .

مِنْ حُسْنِ حَظِّنَا أَنَّ لَدَيْنَا يَوْمِيَّاتِ كولبُسَ عَنْ الرِّحْلَةِ ، وَهِيَ الْيَوْمِيَّاتُ الَّتِي تَحْتَفِظُ بِهَا كُلُّ سَفِينَةٍ تَمُخَّرُ الْبَحَارَ . لَقَدْ ظَلُّوا أُسْبُوعًا يُحَالِفُهُمُ التَّوْفِيقُ التَّامُّ ، وَكَانَ كولبُسُ يُعَيِّنُ مَوْقِعَ السَّفِينَةِ عَلَى خَارِطَتِهِ ، وَيَعْرِفُ الْمَسَافَةَ الَّتِي قَطَعُوهَا .

بَدَأَ كولبُسُ يَحْتَفِظُ بِدَقَّتَرَيْنِ لِيَوْمِيَّاتِهِ ، سَجَّلَ فِي أَحَدِهِمَا عَدَدَ الْفَرَاسِيخِ (الْفَرَسَخُ نَحْوُ ثَلَاثَةِ أَمْيَالٍ) الْحَقِيقِيِّ ، الَّذِي يَقْطَعُونَهُ كُلَّ يَوْمٍ ، وَسَجَّلَ فِي ثَانِيهِمَا ، الَّذِي كَانَ يُرِيهِ لِلْبَحَّارَةِ ، عَدَدًا أَقْلًا . إِذْ إِنَّ كولبُسَ لَمْ يُرِدْ أَنْ يَعْرِفَ بَحَارَتَهُ حَقِيقَةَ الْمَسَافَةِ الَّتِي تَفْصِلُهُمْ عَنْ إِسْبَانِيَا ، لِئَلَّا يَخَافُوا وَيَرْغَبُوا فِي الْعَوْدَةِ .

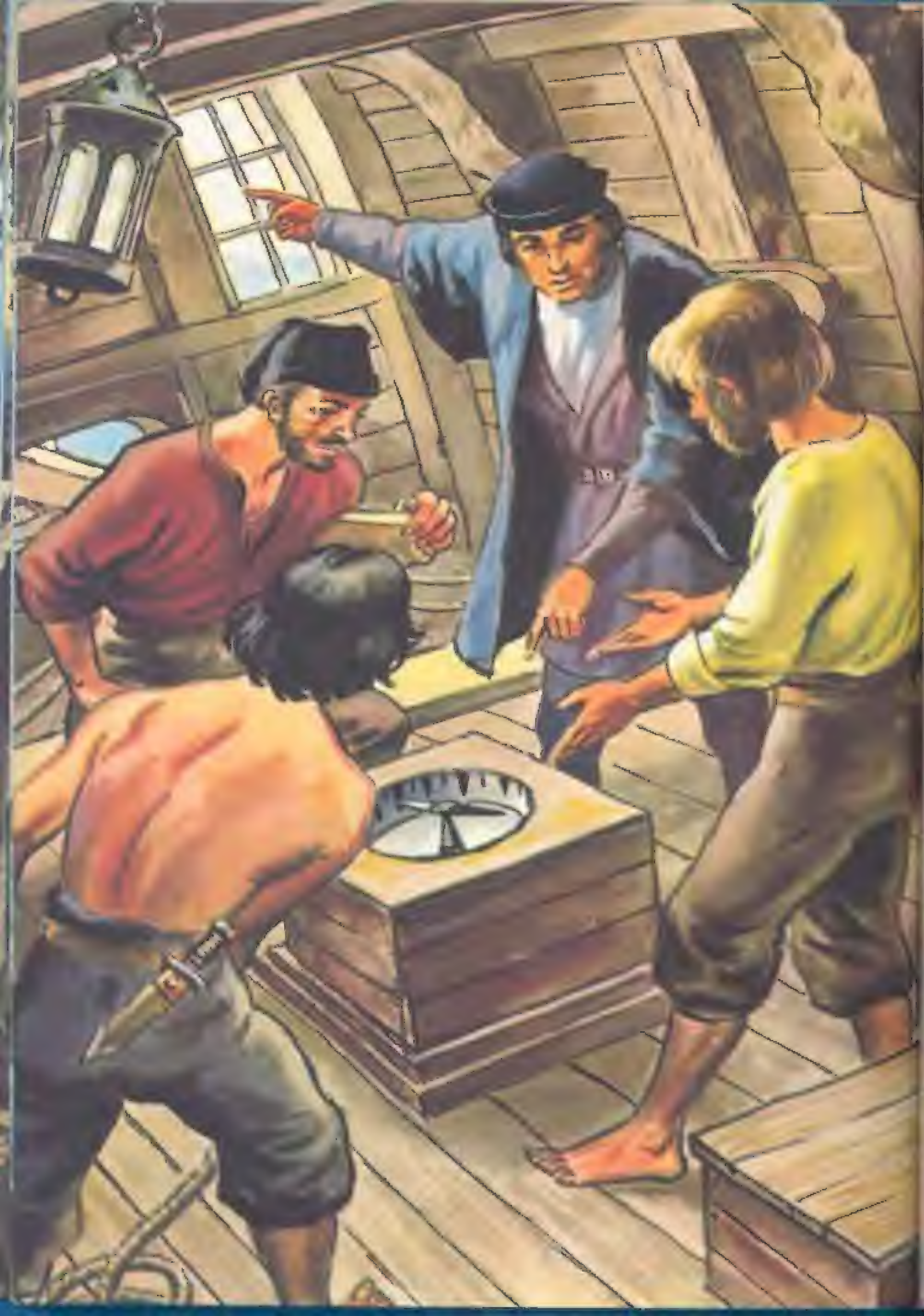


لاحظ كولبس ، بعد سبعة أيام من مغادرتهم جزر الكناري ، أنَّ
بوصلة السفينة كانت تتحرك بشكل غريب . فأبْرَئُها ، عوضاً عن أنَّ
تتجه شطر النجم الشمالي ، انحرفت قليلاً شطر الشمال الغربي . فلم يقل
شيئاً عن ذلك للبحارة ، ولكن الإبرة راحت تنحرف قليلاً يوماً بعد
آخر .

وفي السابع عشر من شهر أيلول ، كانت الإبرة قد انحرفت كثيراً
جداً عن موضعها العادي ، بحيث لاحظ مدير قيادة السفينة ذلك .
فتجمع البحارة بسرعة حول الإبرة ، وقد ذكر كولبس في كُناشَتِه (دفتر
يوميّاته) أنَّهم « خافوا خوفاً شديداً . »

كان كولبس كالبحارة يجهل سبب انحراف البوصلة الشديد . ولكنه
كان الرُّبَّان ، وعليه أن يقول شيئاً يطمئن به رجاله . فأخبرهم أنَّ سبب
الانحراف لم يكن خطأ من البوصلة ، بل كان سببه النجم الشمالي ،
الذي كان يتحرك بين حين وآخر . فصَدَّقَه البحارة لحسن الحظ . وإذا
كان القلق قد استولى على كولبس ، كما هو متوقع ، فإنه استطاع أن
يُخْفِيَهُ إخفاء تاماً .

نحن نعلم اليوم أنَّ الشمال المغناطيسي ، الذي تُشيرُ إليه البوصلة ،
ليس هو الشمال الحقيقي ، ويختلف اتجاهه باختلاف الأماكن على سطح
الأرض . كان كولبس يجهل ذلك .



رَضِيَ الْبَحَّارَةُ بِمَا قَالَهُ لَهُمْ كَوْلِبُسُ قَتْرَةً مِنَ الزَّمَنِ . وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا
يَعْبُرُونَ عَنْ مَخَافَتِهِمْ ، بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ، حَتَّى أَصْبَحَ قِسْمٌ مِنْهُمْ عَلَى
وَشَكِّ التَّمَرُّدِ . أَرَادُوا أَنْ يُلْقُوا كَوْلِبُسَ فِي الْبَحْرِ ، وَيَعُودُوا إِلَى إِسْبَانِيَا .

لَقَدْ كَانُوا جَمِيعًا يَتَحَنُّونَ ، بِطَبِيعَةِ الْحَالِ ، عَنْ الْيَابِسَةِ غَرَبًا ؛ لِأَنَّ
هُنَاكَ جَائِزَةً كَبِيرَةً ، سَتُعْطَى لِأَوَّلِ رَجُلٍ يَرَى الْيَابِسَةَ . وَفِي مَسَاءٍ أَحَدِ
الْأَيَّامِ صَاحَ أَحَدُ الْبَحَّارَةِ قَائِلًا إِنَّهُ رَأَى الْيَابِسَةَ .

فَرَكَعَ كَوْلِبُسُ وَشَكَرَ اللَّهَ ، أَمَّا بَحَّارَةُ السُّفْنِ الثَّلَاثِ فَقَدْ رَاحُوا
يُرْتَلُونَ تَرْتِيلَةَ الْحَمْدِ وَالشُّكْرِ . وَظَلُّوا يَنْتَظِرُونَ بُرُوعَ الْفَجْرِ بِقَلْقٍ شَدِيدٍ
طُولَ اللَّيْلِ ، وَعِنْدَمَا أَقْبَلَ الصُّبْحُ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ أَرْضٌ . لَقَدْ كَانَ الَّذِي
رَأَاهُ الْبَحَّارُ غَيْمَةً مُنْخَفِضَةً فِي الْأَفْقِ .

جَعَلَتْ خَيِّةُ الْأَمَلِ هَذِهِ الْبَحَّارَةَ أَكْثَرَ شَوْقًا إِلَى الْعُودَةِ إِلَى إِسْبَانِيَا ،
وَلَكِنَّهُمْ - لِحُسْنِ الْحَظِّ - شَاهَدُوا طُيُورًا فِي الْأَفْقِ . فَعَادَتْ صُدُورُ
الرِّجَالِ إِلَى الْإِتِّسَاحِ ؛ لِأَنَّ كَوْلِبُسَ أَكَّدَ لَهُمْ أَنَّ مِثْلَ تِلْكَ الطُّيُورِ لَا تَطِيرُ
أَبَدًا بَعِيدًا عَنْ الْيَابِسَةِ .

ظَلَّ الْبَحْرُ عَلَى هُلُوِّهِ ، وَعَادَ الْبَحَّارَةُ قَتْرَةً مِنَ الزَّمَنِ إِلَى الرِّضَى
وَالْأَمَلِ .



حَدَّثَ ذَلِكَ فِي الْخَامِسِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ شَهْرِ أَيْلُولَ ، وَمَعَ أَنَّ الْبَحَّارَةَ
لَمْ يَعْرِفُوا هَذَا التَّارِيخَ لِحُسْنِ الْحِظِّ ، فَقَدْ كَانَ عَلَيْهِمْ أَنْ يُجِيرُوا غَرْبًا
ثَمَانِيَةَ عَشَرَ يَوْمًا أُخْرَى قَبْلَ أَنْ يَرَوْا الْيَابِسَةَ .

كَانَ كَوْلُبْسُ مُسْتَعِدًّا لِمُوَاصَلَةِ الرِّحْلَةِ ، وَلَوْ اسْتَغْرَقَ ذَلِكَ شُهُورًا
كَثِيرَةً ، وَلَكِنَّ الْبَحَّارَةَ لَمْ يَكُنْ لَدَيْهِمْ مِثْلُ إِيمَانِهِ وَصَبْرِهِ .

مَرَّ أُسْبُوعٌ ، وَتَلَاهُ آخَرُ . وَظَهَرَتْ طُيُورٌ كَثِيرَةٌ أُخْرَى ، بَيْنَهَا طُيُورٌ
بَدَتْ أَنَّهَا بَرِّيَّةٌ . وَأَصْبَحَ الْبَحَّارَةُ لَا يُصَدِّقُونَ أَنَّ تِلْكَ كَانَتْ عَلَامَةً مِنْ
عَلَامَاتِ الْبَرِّ ، فَذَهَبُوا إِلَى كَوْلُبْسٍ مُتَذَمِّرِينَ مِنْ طُولِ الرِّحْلَةِ ، وَطَالَبُوا
بِتَغْيِيرِ اتِّجَاهِ السُّفْنِ . فَحَسَبَهُمْ كَوْلُبْسُ عَلَى الصَّبْرِ قَدْرَ اسْتِطَاعَتِهِ ، وَلَكِنَّهُمْ
كَانُوا أَيْضًا يُوشِكُونَ أَنْ يَثُورُوا ، لَوْلَا ظُهُورُ عَلَامَاتٍ جَدِيدَةٍ تَدُلُّ عَلَى
الْاقْتِرَابِ مِنَ الْبَرِّ ، أَيْدَتْ رَأْيَ كَوْلُبْسٍ .

وَفِي الْحَادِي عَشَرَ مِنْ تَشْرِينَ الْأَوَّلِ ، وَجَدَ بَحَّارَةُ « بِنْتَا » خَشَبَةً
ضَخْمَةً مَنْقُوشَةً تَعُومُ فِي الْمَاءِ ، مَعَ غُصْنٍ يَحْمِلُ ثَمَرَ الْعَلِّيقِ الْأَحْمَرِ .
كَانَ الشَّيْئَانِ بُرْهَانًا عَلَى الْاقْتِرَابِ مِنَ الْبَرِّ أَقْوَى مِنْ بُرْهَانِ الطُّيُورِ ، وَقَدْ
شَارَكَ الْبَحَّارَةُ كَوْلُبْسَ فِي حِمَاسَتِهِ تِلْكَ اللَّيْلَةَ . وَبَدَأُوا يَشْعُرُونَ أَنَّ الثَّرْوَةَ
الَّتِي وَعَدَهُمْ كَوْلُبْسُ بِهَا قَدْ أَصْبَحَتْ فِي قَبْضَةِ أَيْدِيهِمْ .



لَقَدْ تَحَقَّقَتْ آمَالُهُمْ ، فِي السَّاعَةِ الْعَاشِرَةِ مِنْ تِلْكَ اللَّيْلَةِ كَانَ
كَوْلِبُسُ وَاقِفًا فِي مَكَانٍ مُرْتَفِعٍ مِنْ مُؤَخَّرِ السَّفِينَةِ « سَانْتَا مَارِيَا » ،
وَمُحَدِّثًا إِلَى الْغَرْبِ ، كَمَا كَانَ يَفْعَلُ لَيْلًا وَنَهَارًا مُدَّةَ خَمْسَةِ أَسَابِيعَ
طَوِيلَةٍ . فَرَأَى فَجْأَةً نُورًا ضَعِيفًا جِدًّا آتِيًا مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ .

كَانَ مُنْخَفِضًا جِدًّا ، لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ نُورًا صَادِرًا مِنْ نَجْمٍ . وَعَدَا
ذَلِكَ كَانَ يَتَحَرَّكُ كَمَا لَوْ كَانَ إِنْسَانٌ يَمْشِي وَهُوَ يَحْمِلُ مِشْعَلًا .

دَعَا كَوْلِبُسُ أَحَدَ ضُبَّاطِهِ ، فَرَأَى النُّورَ أَيْضًا ، وَلَكِنَّهُ عِنْدَمَا اسْتَدْعَى
الثَّالِثَ كَانَ قَدْ اخْتَفَى . فَلَمْ يَسْتَطِعْ كَوْلِبُسُ أَنْ يَقُولَ مَا إِذَا كَانَ النُّورُ
وَهُمَا ، أَوْ حِيلَةً مِنْ حِيلِ الْبَحْرِ .

ظَلَّ كَوْلِبُسُ طَوَلَ اللَّيْلِ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ الْمُرْتَفِعِ . وَكَانَتِ السَّفِينُ
قَدْ خَفَّتْ مِنْ سُرْعَتِهَا ، لِكَيْ لَا تَصْطَلِمَ فِي الظَّلَامِ بِالشَّاطِئِ ، إِذَا كَانَ
مَا بَدَا لَهُمْ بَرًّا حَقِيقِيًّا . وَبَدَأَ الظَّلَامُ خَلْفَهُمْ يَنْقَشِعُ بِالتَّذْرِيجِ ، وَلَكِنْ
الْجِهَةَ الْغَرْبِيَّةَ ظَلَّتْ كُلُّهَا غَارِقَةً فِي الظَّلَامِ . وَازْدَادَ إِرْهَاقُهُمْ لِعُيُونِهِمْ
الْمَوْجَّهَةَ إِلَى الْغَرْبِ . وَكَانَ نِصْفُ الْبَحَّارَةِ فَوْقَ الْحِبَالِ ، وَنِصْفُهُمْ الْآخَرُ
فَوْقَ جَانِبِ السَّفِينَةِ الْمُمْتَدِّ فَوْقَ سَطْحِهَا الْعُلَوِيِّ .

ثُمَّ صَرَخَ بَحَّارٌ وَاقِفٌ عَلَى أَعْلَى سَارِيَةِ « نِينَا » قَائِلًا : « الْبَرُّ ،
الْبَرُّ ! »



لَقَدْ وَصَلُوا إِلَى الْبَرِّ أٰخِرًا ، وَاتَّهَتْ الْأَسَابِيعُ الطَّوِيلَةُ الَّتِي كَانُوا
خِلَالَهَا لَا يَرَوْنَ حَوْلَهُمْ سِوَى الْبَحْرِ ، يُحِيطُ بِهِمْ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ . وَظَنَّ
كَثِيرٌ مِنَ الْبَحَّارَةِ أَنَّهُمْ لَنْ يَرَوْا الْبَرَّ ثَانِيَةً ، وَكَانُوا جَمِيعًا قَلَقِينَ وَخَائِفِينَ
مَا عَدَا كَوْلِبُسَ . وَنَسْتَطِيعُ أَنْ نَتَخَيَّلَ كَمْ أُنْعَشَتْ نَفُوسُهُمْ رُؤْيَا الْأَشْجَارِ
الْخَضِرِ .

يَجِبُ أَنْ نَتَذَكَّرَ أَنَّ الرِّجَالَ الَّذِينَ أَبْحَرُوا مَعَ كَوْلِبُسَ لَمْ يَغِبِ الْبَرُّ
مِنْ قَبْلُ عَنْ أَبْصَارِهِمْ أَكْثَرَ مِنْ بَضْعِ سَاعَاتٍ ، أَوْ بَضْعَةِ أَيَّامٍ عَلَى
الْأَكْثَرِ .

كَانَ كَوْلِبُسُ يَعْتَقِدُ أَنَّهُ ، إِذَا أَبْحَرَ غَرْبًا ، سَيَصِلُ إِلَى الْهِنْدِ ، الَّتِي أُغْلِقَ
التَّرْكُ طَرِيقَهَا الْبَرِّيَّةَ . وَظَنَّ أَنَّ الْجُزُرَ الَّتِي وَجَدَهَا كَانَتْ تَقَعُ فِي أَمْكِنَةٍ
قَرِيبَةٍ مِنَ الْهِنْدِ ، وَكَانَتْ غُلْطَةُ كَوْلِبُسَ ، الَّتِي اقْتَرَفَهَا مُنْذُ نَحْوِ خَمْسِمِائَةِ
سَنَةٍ ، هِيَ السَّبَبُ فِي تَسْمِيَّتِهَا بِجُزُرِ الْهِنْدِ الْغَرِيبَةِ ، الْأَسْمُ الَّذِي مَا زَالَ
يُطْلَقُ عَلَيْهَا إِلَى الْآنَ .

نَزَلَ كَوْلِبُسُ إِلَى الْبَرِّ بِشَكْلِ رَشْمِيٍّ ، لَا يَسَاءُ أَفْخَرَ الثِّيَابِ ، وَحَامِلًا
الْعَلَمَ الْإِسْبَانِيَّ ، وَنَزَلَ مَعَهُ الْأَخْوَانُ يَتَزَوَّنُ وَكَثِيرٌ مِنَ الْبَحَّارَةِ . وَمَا كَادَ
يَطَأُ أَرْضَ الشَّاطِئِ ، حَتَّى رَكَعَ وَقَبَّلَ الْأَرْضَ ، وَدُمُوعُ الْفَرَحِ تَتَسَاقَطُ
مِنْ عَيْنَيْهِ . وَبَعْدَ أَنْ شَكَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى النِّجَاحِ الَّذِي نَالُوهُ ، اسْتَوَلَى
عَلَى الْجَزِيرَةِ بِأَسْمِ مَلِكِ إِسْبَانِيَا وَمَلِكْتِهَا .



وَجَدَ كَوْلُبُسُ وَرِجَالُهُ أَنْفُسَهُمْ عَلَى جَزِيرَةٍ كَبِيرَةٍ مُسْتَوِيَةٍ ، نَمَتْ
فِيهَا أَشْجَارُ الْغَابَاتِ عَلَى حَافَةِ خَلِيجٍ أَزْرَقَ . وَتُحِيطُ بِهَا مِنْ كُلِّ جَانِبٍ
أَزْهَارٌ مُلَوَّنَةٌ ، لَمْ يَرَ مِثْلَهَا أَحَدٌ مِنْهُمْ مِنْ قَبْلُ . كَانَتْ تِلْكَ الْجَزِيرَةُ جَنَّةً
بَعْدَ قَضَاءِ أَرْبَعَةِ أَسَابِيعَ فِي الْبَحْرِ .

لَمْ يُظْهِرِ الْمَوَاطِنُونَ آيَةً عَلَامَةً مِنْ عِلَامَاتِ الْخَوْفِ . لَمْ يَكُنْ لَوْنُ
بَشَرَتِهِمْ أَيْبَضَ وَلَا أَسْوَدَ ، وَكَانَتْ وَجُوهُهُمْ تَعْلُوها أَصْبَاغٌ عَجِيبَةٌ . وَكَانُوا
يَخْمِلُونَ رِمَاحًا قَصِيرَةً ؛ مَصْنُوعَةً مِنَ الْبُوصِ (الْقَصَبِ) ، وَفِي رُؤُوسِهَا
أَسْنَانُ كَلْبِ الْبَحْرِ (سَمَكِ الْقِرْشِ) . كَانَ مِنَ الْوَاضِحِ أَنَّهُمْ لَمْ يَرَوْا رِجَالًا
يَبِضًا مِنْ قَبْلُ ، وَلَمْ تَكُنْ لَهُمْ صِلَةٌ بِالْمَدِينَةِ الْغَرِيبَةِ . وَعِنْدَمَا أَهْدَى كَوْلُبُسُ
لَهُمْ عَقُودًا مِنَ الْخَرَزِ ، فَرِحُوا بِهَا كَثِيرًا كَمَا يَفْرَحُ الْأَوْلَادُ بِاللُّعْبِ
الْجَدِيدَةِ .

كَانَ الْإِسْبَانِيُّونَ قَدْ رَأَوْا الْمَوَاطِنِينَ مِنْ قَبْلُ عَلَى شَاطِئِ افْرِيقِيَا ،
وَلَكِنَّهُمْ رَأَوْا الْآنَ شَيْئًا جَدِيدًا عَلَيْهِمْ . وَكَانَ رِجَالُ هَذِهِ الْجَزِيرَةِ الْمَجْهُولَةِ ،
يُمْسِكُونَ بِلُفَافَاتِ صَغِيرَةٍ مِنْ أَورَاقِ الْأَشْجَارِ الْبُنْيَةِ ، الَّتِي أَشْعَلُوا فِيهَا
النِّيرانَ ، ثُمَّ وَضَعُوهَا فِي أَفْوَاهِهِمْ ، وَمَلَأُوا بِدُخَانِهَا رِثَاتِهِمْ ، ثُمَّ نَفَخُوهُ فِي
الْهُوَاءِ . كَانَتْ تِلْكَ أَوَّلَ مَعْرِفَةِ الرَّجُلِ الْأَيْبَضِ بِالتَّبَغِّ .



كَانَ مِنْ أَحَدِ أَهْدَافِ تِلْكَ الرِّحْلَةِ الْبَحْرِيَّةِ ، اكْتِشَافُ جُزُرِ
الذَّهَبِ الْخُرَافِيَّةِ ، الَّتِي يَعْتَقِدُونَ أَنَّ فِيهَا جِبَالًا مِنْ الذَّهَبِ الصُّلْبِ .

كَانَ بَعْضُ مُوَاطِنِي سَانِ سَلْفَادُورَ يَلْبَسُونَ حُلَى ذَهَبِيَّةً صَغِيرَةً ، وَقَدْ
اسْتَفْسَرَ مِنْهُمْ كُولْبُسُ ، قَدَّرَ اسْتِطَاعَتِهِ ، عَنْ مَصْدَرِ ذَلِكَ الذَّهَبِ .
فَأَشَارُوا إِلَى الْجَنُوبِ ، وَقَالُوا إِنَّهُ جَاءَ مِنْ جَزِيرَةٍ كَبِيرَةٍ سَمَّوْهَا كُوبَا . فَرَفَعَ
كُولْبُسُ الْمَرَاسِي ، وَأَبْحَرَ لِلْبَحْثِ عَنْهُ .

تَصَوَّرَ أَنَّ تِلْكَ الْجَزِيرَةَ هِيَ الْيَابَانُ . وَظَلَّ أَكْثَرَ مِنْ شَهْرَيْنِ يُبْحِرُ مِنْ
جَزِيرَةٍ إِلَى أُخْرَى ، وَيَنْزِلُ فِي كَثِيرٍ مِنْهَا ، وَيَضُمُّهَا إِلَى أَمْلَاكِ إِسْبَانِيَا . لَمْ
يَجِدِ الْيَابَانَ وَلَا جَزِيرَةَ الذَّهَبِ . وَعِوَضًا عَنْ ذَلِكَ أَصَابَتْهُ كَارِثَةٌ كَادَتْ
تُحْطِمُ مَشْرُوعَهُ كُلَّهُ .

جَنَحَتِ السَّفِينَةُ « سَانْتَا مَارِيَا » إِلَى الْبَرِّ ، بِسَبَبِ إِهْمَالِ الْبَحَّارِ
الْمَسْئُولِ عَنِ الدَّفْعَةِ ، إِلَى جَزِيرَةٍ سَمَّاهَا كُولْبُسُ سَانِ دُومِنْجُو . وَأَصْبَحَتِ
السَّفِينَةُ بِسُرْعَةٍ حُطَامًا كَامِلًا ، فَاضْطُرَّ كُولْبُسُ إِلَى أَنْ يَنْتَقِلَ هُوَ ، وَمَا
يَسْتَطِيعُ انْقِذَاذَهُ مِنَ الْمَوْتِ ، إِلَى السَّفِينَةِ « نِينَا » . ثُمَّ أَبْحَرَ كُولْبُسُ إِلَى
إِسْبَانِيَا ، بَعْدَ أَنْ تَرَكَ كَتِيبَةً مِنْ أَرْبَعِينَ رَجُلًا فِي قَلْعَةٍ بَنَاهَا عَلَى
الشَّاطِئِ .



وَبَعْدَ رِحْلَةٍ بَحْرِيَّةٍ كَثِيرَةٍ الْمَجَازِفَاتِ ، دَخَلَتِ السَّفِينَةُ « نِينَا » مِينَاءَ
بَالُوسَ ، بَعْدَ ثَمَانِيَةِ أَشْهُرٍ مِنْ مُغَادَرَتِهِ . فَازْدَحَمَ الْمِينَاءُ بِسُرْعَةٍ
بِالنَّاسِ الَّذِينَ لَمْ يَتَوَقَّعُوا أَبَدًا أَنْ يَرَوْا ثَانِيَةً كُولْبُسَ أَوْ السَّفِينَةَ .

لَمْ يَتَّقَ كُولْبُسُ طَوِيلًا فِي بَالُوسَ ، لِأَنَّ الْمَلِكَ وَالْمَلِكَةَ كَانَا
فِي بَرُشْلُونَةِ ، فَاسْرَعَ عَبْرَ إِسْبَانِيَا ، حَامِلًا الْغَنَائِمَ الَّتِي جَاءَ
بِهَا مَعَهُ .

دَخَلَ بَرُشْلُونَةَ دُخُولَ الظَّافِرِينَ ، وَوَرَاءَهُ بَحَارَتُهُ يَحْمِلُونَ الْبَيْغَاوَاتِ ،
وَالطُّيُورَ وَالْوَحُوشَ الْغَرِيبَةَ الْأُخْرَى ، إِضَافَةً إِلَى حُلِيِّ مُوَاطِنِي الْجُزْرِ
الْمُكْتَشَفَةِ حَدِيثًا وَأَسْلِحَتِهِمْ . وَلَكِنَّ الَّذِي اسْتَرْعَى انْتِبَاهَ الْحُشُودِ الْإِسْبَانِيَّةِ
أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِهِ ، كَانَ الْمَوَاطِنِينَ أَنْفُسَهُمْ ، إِذْ أَحْضَرَ كُولْبُسُ مَعَهُ سِتَّةَ
مِنْهُمْ إِلَى إِسْبَانِيَا لِكَيْ يَتَنَصَّرُوا .

أَصْبَحَ كُولْبُسُ الْآنَ بَطْلَ السَّاعَةِ . فَقِي الْبَلَاطِ الْمَلَكِيَّ ، حَيْثُ
سَخِرَ مِنْهُ رِجَالُ الْبَلَاطِ مِنْ قَبْلُ ، أَسْتَقْبِلَ أَسْتَقْبَالًا حَافِلًا جِدًّا ،
وَأَجْلَسَ إِلَى يَمِينِ الْمَلِكِ . وَعَيْنَ أَمِيرَالَا فِي الْأُسْطُولِ الْإِسْبَانِيِّ ، وَمُنِحَ
لَقَبَ نَيْلٍ .

وَعِنْدَمَا جَلَسَ كُولْبُسُ هُنَاكَ ، وَهُوَ فِي قِمَّةِ مَجْدِهِ الْعَظِيمِ ، لَا بُدَّ أَنْ
يَكُونَ قَدْ شَعَرَ بِأَنَّ صَبْرَهُ ، وَعَزِيمَتَهُ ، وَعَمَلَهُ الشَّاقَّ الطَّوِيلَ قَدْ كُوفِيَءَ
عَلَيْهَا فِي النِّهَايَةِ .



BIBLIOTHECA ALEXANDRINA

مكتبة الإسكندرية

جزر الكناري
ماديرا
بورقوسانو

This book was donated by
the German Women Ass., Alexandria
to the Children's Library of the
Bibliotheca Alexandria

أفريقيا

رحلة الانطلاق

رحلة العودة

الرحلة الأولى لكريستوفر كولومبس

أمريكا
الشمالية

المحيط
الأطلسي

سان بلفادور

سان دومينغو

جزر الهند الغربية

المحيط
الباسيفيكي

أمريكا
الجنوبية

السَّيْلَةُ التَّارِيخِيَّةُ

- | | |
|----------------------------|----------------------------------|
| ١ - جان دارك | ١٠ - الحصارات الكبرى : اليونان |
| ٢ - ماركو بولو | ١١ - فلورنس تتعطل |
| ٣ - الكابتن سكوت | ١٢ - الحصارات الكبرى : روما |
| ٤ - نابليون | ١٣ - القطان كوك |
| ٥ - كليوباترا ومصر القديمة | ١٤ - روزم لويس شيفسون |
| ٦ - شارل ديكر | ١٥ - ميغل |
| ٧ - كريستوفر كولومبوس | ١٦ - الحصارات الكبرى : كريت |
| ٨ - الإسكندر الأكبر | ١٧ - الحصارات الكبرى : القايكيجر |
| ٩ - الحصارات الكبرى : مصر | ١٨ - الحصارات الكبرى : الأرتك |

Series 561 Arabic

في سلسلة كتب المطالعة الآن أكثر من ٢٠٠ كتاب
من الموضوعات تناسب مختلف الأعمار . اطلب البيان الك
مكتبة لبنان - ساحة رياض الصلح -

Bibliotheca Alexandrina



0250212